وسياسياً، بعد مجازر أيلول (سبتمبر) بفترة قليلة، اتجهت في مسار واحد لم يشهد أي منعرجات، او تعديلات، أو انقلابات، وهو مسار التقارب مع السوفيات، ايديولوجياً وسياسياً.

البيريسترويكا

قبل ان يصل ميخائيل غورباتشيوف الى رئاسة الحزب والدولة في الاتحاد السوفياتي، ويقود غمار البيريسترويكا، كانت الماركسية السوفياتية ألقت ظلالها الفكرية، والى حدّ بعيد السياسية، على معظم فصائل اليسار الفلسطيني؛ وأصبح الموقف السوفياتي من أي قضية من القضايا، بما في ذلك قضايا الوضع الداخلي الفلسطيني، يشكّل احد العناصر الهامّة، وربما الحاسمة، التي كان اليسار الفلسطيني يأخذها بعين الاعتبار في تحديد موقفه من القضية المعنيّة. ولعلّ تجربة الانشقاق الفلسطيني، وما تبعها من تطوّرات، تقدّم نموذجاً لمستوى تأثير الموقف السوفياتي في موقف اليسار الفلسطيني. فعندما اتخذ السوفيات موقفاً متحفظاً من دورة المجلس الوطني الفلسطيني في عمّان، ولم يعترفوا، صراحة، بشرعية الهيئات القيادية التي انبثقت عنه، جاء موقف اليسار مطابقاً للموقف السوفياتي. وعندما لم يؤيد السوفيات «اتفاق عمّان»، اعترض اليسار عليه. وعندما دعم السوفيات جهود توحيد فصائل المقاومة الفلسطينية في اطار م.ت.ف. ـ وكان لهم دور أساسي وهامّ في ذلك ـ كان ذلك الموقف احد العناصر الاساسية التي لعبت دوراً في نجاح دورة المجلس الوطني الفلسطيني (التوحيدية) في الجزائر، في العام ١٩٨٧. ويمكن، في الواقع، لأي متابع دقيق لتلك الفترة ان يجد في ادبيات وصحافة اليسار عشرات الاشارات التي تعكس مستوى حضور، وتأثير، الموقف السوفياتي في أخطر قضية تعرّضت لها منظمة التحرير الفلسطينية، ومسّت وحدتها ومصيرها. ويكفي، في هذا المجال، ان نشير الى البرنامج «المناهض لبرنامج ' الاستسلام' الفلسطيني ـ العربي الامبريالي»، الذي طرحه د. جورج حبش، في كلمته، في الذكرى السابعة عشرة لانطلاقة الجبهة الشعبية (كانون الاول ـ ديسمبر ١٩٨٤)، حيث دعا، في احدى نقاط هذا البرنامج، الى «تعميق التحالف مع بلدان المنظومة الاشتراكية، وعلى رأسها الاتحاد السوفياتي، من اجل اشراكها ومساهمتها في حل معضلات الساحة الفلسطينية»[٨٢].

في هذا السياق من التأثير والنفوذ السوفياتي الواضحين على قوى اليسار، جاءت البيريسترويكا التي رفع رايتها غورباتشيوف منذ تولّيه زعامة الحزب الشيوعي السوفياتي. وقد بدت البيريسترويكا، في خطواتها الاولى، وكأنها عملية اصلاح وتجديد ثورية في المجتمع الاشتراكي، كما أطلق عليها غورباتشيوف، وردّد وراءه كل اليساريين العرب باعجاب شديد أنطوى على قدر من مغازلة بعض انتقاداتهم التي ظلت مكبوتة تحت الستار الحديدي للمركزية الديمقراطية وهيبة النظام الاشتراكي الذي كانت أي محاولة لنقده تعني اعتداء على «المقدّس». لكن الاعجاب لم يخل من قدر كبير من القلق، خاصة مع الآثار المدوّية التي كانت تتكشف، شيئاً فشيئاً، مع عملية البيريسترويكا، حيث تبيّن ان ذلك المجتمع الاشتراكي، الملهم والنموذج، كان مثل وعاء يغلي؛ وبمجرد ان رفع الغطاء عنه تفجّرت تناقضاته الاقتصادية والاجتماعية والقومية والاثنية والسياسية والدينية والثقافية والروحية، الخ. وكان الربع الاخير من العام ١٩٨٩، بما شهده من تطوّرات لا يصدّقها عقل في اوروبا الشرقية، على صعيد انهيار النظم الاشتراكية، بالغ التأثير في تعاظم القلق عند اليسار الفلسطيني. وتحوّل القلق هذا عند البعض الى شكل من «اللاادرية» العالية، وتفشّت مظاهر فقدان الاتجاه. فقد سقط النموذج وتعطّلت البوصلة، وكان على جيش اليسار، المهزوم في وعيه ومنظومته الفكرية والسياسية